جامعة القاهرة
كلية دار العلوم
قسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

الهجرات المشرقية إلى مصر والشام وتأثيرها السياسي والحضاري زمن سلاطين المماليك (٦٤٨ - ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ - ١٥١٧م)

رسالة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي

إعـــداد

أحمد محمود محمد إبراهيم

(المدرس المساعد بالقسم)

إشـــــراف

الأستاذ الدكتور: عبد الله محمد جمال الدين

(أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة)

الأستاذ الدكتور: عبد الرحمن أحمد سالم

(أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة)

١٤٣٤هـ/٢٠١٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦ ﴾ (البقرة: ٢٨٦)

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨ ﴾ (آل عمران: ٨)

إلى شهداءِ الحرية في أرض مصر والشام

تحيةً واعتذارًا

وإلى القابضِينَ على جَمْر الثورة

تقديرًا وإعجابًا

شُكْرٌ وَتَقْدِير

لا يسعني في صدر هذا العمل إلا أنْ أتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان بالجميل لشيخيَّ العالِمَيْنِ الجليلينِ:

الأستاذ الدكتور عبد الله محمد جمال الدين & الأستاذ الدكتور عبد الرحمن أحمد سالم

اللذينِ أشرفا على هذا العمل وأولياه عنايتهما منذ كان فكرةً غائمةً يموجُ بها عقلُ صاحبها إلى أن أضحى دراسةً مكتملةً هي الآن قيد النظر والتقويم، فكانا ــ علم اللهُ ــ مثالينِ للأستاذية الحَقَّة عِلْمًا وتجردًا، وللأبوةِ الكريمة رحمةً وإشفاقًا. وإنَّ لهما في تكويني العلمي والإنساني من الفضل وحسن الأثر ما أحسبني عاجزًا عن الوفاء بشكره في هذه الكلمة الموجزة.

وإني إذ أستحضر فضلَهما العظيم وأياديهما السابغة، أتمثل قول المتنبي:

لَـــهُ أَيَـــادٍ عَـــلَيَّ سَـــابِغَةٌ أَعُـــدُّ منهـــا ولا أُعَـــدِّدُها

ولولا علمي بنفورهما من طولِ الشكرِ والثناء لأطلْتُ، ولكن حَسْبي دعاء ضارع إلى الله عز وجلَّ أن يرزقهما طولَ العمر وحسنَ العملِ، وأن يمتعهما بموفور الصحة والعافية، وأن يرزقني برَّهما والإحسانَ إليهما.

والشكرُ موصولٌ لفضيلة الأستاذ العلاَّمة المحقِّق الدكتور أيمن فؤاد سيد؛ لقبوله ـ رغم كثرة أعبائه ومشاغله العلمية ـ مناقشةَ الطالبِ وتقويمَ عمله. وأحسبُني وسائرَ الباحثينَ في تاريخ مصر الإسلامية مدينينَ لجهوده الوافرة تأليفًا وتحقيقًا وترجمةً، ولو لم يكن له إلا ذلك التحقيق المتفرِّد لكتاب "المواعظ والاعتبار" دُرَّةِ أعمال المقريزي، لكفاه، فجزاه الله عن الأولى والثانية خير الجزاء .

وأخيرًا وليس آخرًا، أشكر لشيخي الجليل، فضيلة العلامة الأستاذ الدكتور طاهر راغب حسين موافقتَه الكريمة على قراءة البحث والحكم عليه، ليُضيف بذلك يدًا جديدةً إلى أياديه السابقة. والحقُّ أن البحث ليس غريبًا عنه، فكثير من مسائله وقضاياه كانت مثارَ نقاشٍ بيني وبينه طوال السنوات السابقة، لم يضن عليَّ خلالها بدقيق توجيهاته ونصائحه؛ فجزاه الله خير الجزاء.

فهرس الموضوعات

المقدمة ..... أ ـ ن

التمهيد ..... ١ ـ ٣٣

أولاً: قيام دولة المماليك في مصر والشام ..... ١ ـ ٢٧

مدخل: نشأة نظام المماليك في العالم الإسلامي ١

الظاهرة المملوكية في مصر إلى نهاية العصر الأيوبي ٤

قيام دولة المماليك في مصر ٨

استيلاء المماليك على بلاد الشام واستكمال بناء الدولة ٩

عين جالوت وتثبيت أركان الدولة المملوكية ١١

التقسيم الإداري لبلاد الشام في ظل السيادة المملوكية ١٤

الملامح العامة للنظام المملوكي في بلاد الشام ١٧

مراحل التاريخ المملوكي ..... ١٨ ـ ٢٧

المرحلة الأولى: سنوات الاضطراب العشر (٦٤٨- ٦٥٨هـ/ ١٢٥٠- ١٢٦٠م)..... ١٩

المرحلة الثانية: البناء وإرساء قواعد الاستقرار (٦٥٨- ٦٩٣هـ/ ١٢٦٠- ١٢٩٣م)..... ١٩

المرحلة الثالثة: الاضطراب السياسي والصراع بين فرق المماليك (٦٩٣- ٧٠٩هـ/ ١٢٩٣- ١٣١٠م)..... ٢٠

المرحلة الرابعة: السلطنة الثالثة للناصر محمد بن قلاوون "أوج الازدهار والاستقرار" (٧٠٩- ٧٤١هـ / ١٣١٠- ١٣٤١م)..... ٢١

المرحلة الخامسة: عود إلى الفوضى والاضطراب السياسي (٧٤١- ٨١٥هـ/ ١٣٤١- ١٤١٢هـ) ٢٢

المرحلة السادسة: محاولة إعادة النظام والنهضة النسبية (٨١٥ – ٨٧٢هـ/ ١٤١٢ – ١٤٦٨م) ٢٣

المرحلة السابعة: مرحلة السقوط (٨٧٢- ٩٢٣هـ/ ١٤٦٨- ١٥١٧م)..... ٢٥

ثانيًا: مفهوم المشرق الإسلامي ٢٨- ٣٠

(أ) الحد الشرقي لدولة المماليك ٢٨

(ب) الأقاليم الجغرافية التي يشملها مصطلح المشرق ٣٠

ثالثًا: مفهوم الهجرة وضوابطها العامة ..... ٣١ ـ ٣٣

الفصل الأول: الأصول الجغرافية للمهاجرين المشارقة ..... ٣٤ ـ ١٢٧

مدخل منهاجي ٣٤

أولاً: الهجرات من إقليم العراق ٣٩

ثانيًا: الهجرات من إقليم الجزيرة العراقية ٥٠

ثالثًا: الهجرات من إيران وبلاد ما وراء النهر ٥٩
رابعًا: الهجرات من بلاد الروم (آسيا الصغرى) ٧٢
خامسًا: هجرات التركمان ٨٣
سادسًا: هجرات المغول ٩٠
سابعًا: هجرات الأكراد ١٠٤
ثامنًا: هجرات الأرمن ١١٧
تاسعًا: الهجرات من بلاد الجراكسة ١٢٣
عاشرًا: الهجرات من بلاد الهند ١٣٠
الفصل الثاني: أسباب الهجرات المشرقية (جدلية الدوافع والجواذب) ١٣٥- ٢٢٤
مدخل: مفهوم الدوافع والجواذب ١٣٥
أولاً: دوافع الهجرات المشرقية ١٣٦- ١٦٩
الدافع الأول: الاجتياح المغولي للمشرق الإسلامي ١٣٦
الموجة الأولى من الغزو المغولي: جنكيز خان (٦٠٣- ٦٢٤هـ/١٢٠٦- ١٢٢٧م) ١٣٦
الموجة الثانية من الغزو المغولي: أوكتاي (٦٢٤- ٦٣٩هـ/ ١٢٢٧م ١٢٤١م) ١٣٨
الموجة الثالثة من الغزو المغولي: حملة هولاكو على إيران والعراق وتأسيس الدولة الإيلخانية (٦٥١- ٦٥٨هـ/ ١٢٥٣- ١٢٦٠م) ١٤١
أثر الغزو المغولي في هجرات أهالي المشرق إلى دولة المماليك ١٤٦
الدافع الثاني: سقوط الدولة الإيلخانية واضطراب الأوضاع السياسية في المشرق ١٤٩
الموجة الرابعة من الغزو المغولي: تيمورلنك (٧٧١- ٨٠٧هـ/١٣٧٠- ١٤٠٤م) ١٥٢
الدافع الثالث: الخلافات السياسية داخل الأسرات الحاكمة في المشرق ١٥٨
الدافع الرابع: تردي الأوضاع الاقتصادية..... ١٦١
(أ) الدوافع الاقتصادية المتعلقة ببيئة المهاجرين أنفسهم ١٦١
(ب) الدوافع الاقتصادية الناتجة عن كوارث الطبيعة ونكباتها ١٦٢
(ج) الدوافع الاقتصادية الناشئة عن فساد النظام السياسي أو اضطرابه ١٦٢
الدافع الخامس: العوامل الدينية والمذهبية ١٦٦
ثانيـــًا: الجـــواذب ١٧٠- ٢٢٤
الجاذب الأول: الاستقرار السياسي والأمن والرخاء الاقتصادي ١٧٠
الجاذب الثاني: السياسة الدينية لدولة المماليك وأثرها في تشجيع الهجرة إليها ١٧٣
(أ) الجهاد..... ١٧٤
(ب) إحياء الخلافة العباسية ١٧٥
(ج) تقريب العلماء والصوفية ١٨٠

(د) تحويل القضاء من المذهب الشافعي إلى المذاهب الأربعة ١٨٣
(هـ) التوسع في بناء المؤسسات الدينية: ١٨٥
❖ الجوامع والمساجد ١٨٧
❖ المـــــــــدارس ١٩٠
❖ مؤسسات التصوف ١٩٣
- الخانقاوات ١٩٣
الـرُّبـــــُـــــط ١٩٦
الـزوايـــــا ١٩٨
الجاذب الثالث: سياسة الدولة المملوكية في تشجيع الهجرات المشرقية ٢٠٢
(أ) سياسة المماليك في تشجيع الأمراء والفرسان والجنود (الوافدية) ٢٠٢
(ب) سياسة المماليك في تشجيع الهجرات المغولية خاصة ٢٠٧
(جـ) الناصر محمد بن قلاوون في عهده الثالث (٧٠٩ـ ٧٤١هـ/١٣٠٩ـ١٣٤٠م) وسياسته في تشجيع الوافدية ٢١١
(د) سياسة المماليك الجراكسة في تشجيع الهجرات ٢١٢
(هـ) سياسة المماليك في شجيع المهاجرين من الدولة العثمانية ٢١٣
(و) سياسة المماليك في استقطاب "النخبة المدنية" من بلاد المشرق ٢١٥
(ز) سياسة المماليك في تشجيع هجرات التجار ٢١٩
(ح) سياسة المماليك في تشجيع هجرات العمال وأرباب الحرف والصناعات ٢٢١
(ط) سياسة المماليك في تشجيع هجرات أهل الطرب والموسيقى ٢٢٢
الجاذب الرابع: اعتدال الشخصية المصرية / الشامية ٢٢٣
الفصل الثالث: الوافدية في الجيش المملوكي: الرُّتَب العسكرية والتأثير السياسي ٢٢٦-
مدخل ٢٢٦- ٣٢٩
بناء الجيش المملوكي ٢٢٦- ٢٣٥
أولاً: المماليك السلطانية ٢٢٧
ثانيًا: مماليك الأمراء (أجناد الأمراء) ٢٣٠
ثالثًا: أجناد الحلقة ٢٣١
المبادئ العامة لتربية المماليك وتدريبهم وترقيتهم ٢٣٥
موقع الوافدية في بنية النظام العسكري المملوكي ٢٣٩
(أ) الوافدية منذ عصر الظاهر بيبرس إلى اغتيال الأشرف خليل (٦٥٨- ١٢٦٠/٦٩٣- ١٢٩٣م) ٢٤٠
سياسة الظاهر بيبرس تجاه الوافدية ٢٤١
سياسة المنصور قلاوون تجاه الوافدية ٢٤٥

مَنْ أُلحِق من الوافدية بالمماليك السلطانية ٢٤٥
مَنْ حصل من الوافدية على رتبة الإمارة ٢٤٦
تدرج الوافدية في مراتب الإمارة ٢٤٨
منح الإقطاعات للوافدية ٢٤٩
مَنْ أُلحق من الوافدية بجند الحلقة ٢٥٠
مَنْ أُلْحِق من الوافدية بمماليك الأمراء ٢٥٢
الوافدية الذين ظلوا تحت تحت قيادة زعمائهم الأصليين ٢٥٢
تمرد الأكراد الشهرزورية ٢٥٣
المغول الوافدية ومحاولات التمرد على السلطة ٢٥٥
تعقيب وملاحظات ٢٥٦
(ب) الوافدية منذ السلطنة الأولى للناصر محمد بن قلاوون إلى بداية سلطنته الثالثة (٦٩٣- ٧٠٩هـ/١٢٩٣- ١٣٠٩م) ٢٦٠
المنافسة السياسية بين الأحزاب المملوكية ٢٦٠
علاقة المغول الوافدية بالمماليك الذين ينحدرون إلى أصول مغولية ٢٦١
انحياز الوافدية إلى الأمير كتبغا ٢٦٢
المغول الأويراتية وأثرهم في تعميق الصراع السياسي ٢٦٣
تمرد الأويراتية سنة ٦٩٩هـ/١٢٩٩م ومحاولة إعادة كتبغا إلى الحكم ٢٦٧
الناصر محمد بن قلاوون والقضاء على الأويراتية (٧٠٩هـ/١٣٠٩م) ٢٦٨
ظاهرة حصول بعض المدنيين على الإمارة ٢٦٩
(ج) الوافدية منذ السلطنة الثالثة للناصر محمد بن قلاوون إلى قيام دولة الجراكسة (٧٠٩- ٧٨٤هـ/١٣٠٩- ١٣٨٢م) ٢٧٠
أولاً: موقف الناصر محمد ممن وفد إلى دولة المماليك في تاريخ سابق على ولايته الثالثة ٢٧٣
ثانيًا: سياسة الناصر محمد تجاه الهجرات الجماعية للوافدية ٢٧٨
ثالثًا: أقارب الناصر محمد بن قلاوون الوافدون من بلاد المغول ٢٨٣
رابعًا: أقارب الأمراء المماليك الوافدون من بلاد المغول ٢٨٤
خامسًا: الوافدون إلى دولة المماليك في صورة فردية من غير أقارب الناصر محمد أو أمراء المماليك ٢٨٦
الوافدية بعد وفاة الناصر محمد بن قلاوون (٧٤١- ٧٨٤هـ/١٣٤٠- ١٣٨٢م) ٢٩٤
الدور السياسي للأمير قَوْصون (ت ٧٤٢هـ/١٣٤١م) ٢٩٥
الوافدية بين الرغبة في الحفاظ على امتيازاتهم والولاء لأسرة قلاوون ٢٩٨
الوافدية وإثارة الفتن والمؤامرات ٣٠٠
خلاصة وتعقيب ٣٠٣

(د) الوافدية في عصر المماليك الجراكسة (٧٨٤- ٩٢٣هـ/١٣٨٢- ١٥١٧م) ٣٠٤
النزعة العنصرية الواضحة التي اتسمت بها دولة المماليك الجراكسة ٣٠٤
زيادة الخلل والاضطراب الذي اعترى القواعد التقليدية في بناء الجيش وترقية المنتمين إليه ٣٠٥
أولاً: الوافدون الجراكسة ٣٠٦
ثانيًا: الوافدون من غير الجراكسة ٣١٦
❖ الوافدون المغول ٣١٦
❖ الوافدون التركمان ٣١٧
❖ الوافدون من بلاد الكرج ٣١٩
❖ الوافدون من العثمانيين ٣١٩
❖ الوافدون من بلاد العجم (إيران) ٣١٩
❖ الوافدون من العراق والجزيرة ٣٢٠
❖ ظاهرة حصول بعض المدنيين على الإمارة ٣٢١
خلاصة وتعقيب ٣٢٥
الفصل الرابع: الدور السياسي للنخبة المدنية (العلماء ـ الصوفية ـ كبار التجار) ٣٣٠- ٤٢٦
مدخل: حول دلالة مصطلح النخبة المدنية ٣٣٠
أولاً: علاقة السلطة المملوكية بالعلماء والصوفية المشارقة ٣٣٢
اعتزال بعض العلماء والصوفية المهاجرين للسلطة ٣٤٠
الأكراد العدوية (اليزيدية) والسعي إلى إقامة دولة كردية ٣٤١
ثانيًا: الأساس الفقهي لمشاركة العلماء في الحياة السياسية ٣٤٤
ثالثًا: الدور السياسي للعلماء والصوفية بين دعم السلطة وانتقادها ٣٤٦
❖ **العلماء/ الصوفية ودعم السلطة المملوكية (الأمر بالمعروف)** ٣٤٦
(أ) تقديم الرأي والمشورة (مستشارو السلطة المملوكية من المهاجرين المشارقة) ٣٤٧
جهود ابن تيمية في مقاومة غلاة الشيعة (الإسماعيلية ـ النصيرية ـ الدروز)..... ٣٧٠
ابن تيمية ومقاومة الغزو المغولي: دفاع عن الأمة أم ولاء للدولة؟ ٣٧٤
(ب) شفاعات العلماء والصوفية من المهاجرين المشارقة ٣٨٦
(ج) التدخل في الصراع الدائر بين أمراء المماليك ٣٨٩
(د) القيام بأعمال الترجمة الخاصة بمكاتبات الدولة الرسمية ٣٩٢
(هـ) السفارة ٣٩٤
❖ **العلماء/ الصوفية وانتقاد السلطة المملوكية (النهي عن المنكر)** ٣٩٦
التصدي لأطماع السلاطين والأمراء في الاستيلاء على أموال الأوقاف ٤٠٠
الصدام بين علماء المشرق والسلطة المملوكية ٤٠٢